بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال

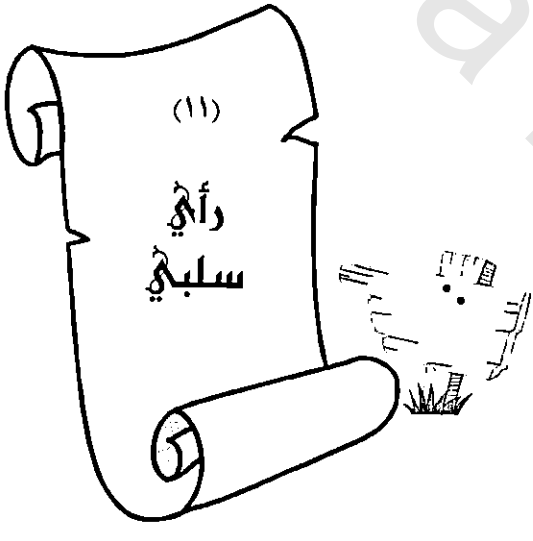

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

تعود الأساليب البربرية التي تتعامل بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين في أساسها إلى الموقف الصهيوني تجاه غير اليهود ولا سيما العرب الفلسطينيين .

يجرى الحديث عنهم بشكل يحمل معنى انحطاط القدر والإهانة . وهناك حساسية شديدة لليهود إزاء ما يشعرون به تجاههم .

والجهود التي تبذل ليست لتأثيم وإدانة هذه المشاعر والأحاسيس التي لدى اليهود ولكن لتغطيتها وإضفاء صفات النبل عليها وللتغطية على ما بها من أخطاء وفي نفس الوقت إضفاء صفات الحقارة على الأعمال والإنجازات والطموحات العربية .

ولم يمر وقت طويل بعد انتخابهم حتى أدرك بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس . وكذا غيره من رؤساء البلدية العمد العرب الآخرين ـ أدركوا أنهم يناضلون ضد الجمود والقسوة وعدم العدل والظلم وانتهاك حقوق الإنسان بشتى أنواع الاضطهاد ـ وإذا ما كان الأمر كذلك فإن عليهم أيضًا تحمل أن يحكموا بواسطة أناس يحملون لهم مشاعر الاحتقار والامتهان .

في أثناء احتفالاتها بعيد تأسيس الدولة الإسرائيلية أقامت إسرائيل عروضًا عسكرية مثيرة . وفي ذكرى التأسيس الثانية والثلاثين تم الاحتفال أيضًا بما يسمى إعادة توحيد القدس بشكل اتسم بالتفاخر والمباهاة وبشكل صاخب ومثير . قال بسام الشكعة : إنهم رقصوا فوق مقابر الفلسطينيين .

وفي تقرير لعضو مجلس العموم البريطاني المستر R.J ماكسويل هيسلوب في لندن (١٨ أكتوبر ١٩٧٣ . هانسارود . عمور ٥٠٢ / تم عرض الموقف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين بشكل تام قال فيه أنه بعد أسابيع من حرب ١٩٦٧ كان ضمن

مجموعة من ٦ أعضاء بالبرلمان البريطاني قاموا بزيارة إلى إسرائيل . وكانوا ضيوفًا على لجنة الشئون الخارجية بالكنيسة الإسرائيلي .

بعد الغداء تحدث دافيد هاكوهن (من مواليد روسيا) رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكنيست ؟. تحدث عن العرب بلجهة ملؤها الاحتقار . وحين توقف لبرهة . أخبره المستر هاسلوب أنه قد شعر بالصدمة العميقة ـ لأنه تحدث عن العرب بهذه اللهجة ثم قال : إنك تتحدث عنهم وهم .بشر ـ بلهجة شبيهة تمامًا تلك التي تحدث بها يوليس ستريشّر عن اليهود .. ألم تتعلم شيئًا ؟؟

هكذا سأله ثم استمر قائلاً : سوف أظل أتذكر إجابته حتى اليوم الذي أرحل فيه عن هذه الدنيا . لقد ضرب بيده على المنضدة وقال ؟ لكنهم ليسوا بشرًا . إنهم ليسوا بشرًا إنهم عرب . يقصد بذلك اللاجئين العرب . في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٥ قام ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن سعيد حمامي (الذي أغتيل فيما بعد) قام بنشر مقال في جريدة التايمز مشيرًا فيه إلى ملاحظات المستر ماكسويل هاسلوب . وبعدها كتب دافيد هاكوهن مقالاً في جريدة التايمز أنكر فيه أنه تفوه بهذا الكلام .

وفي رد آخر من المستر ماكسويل هاسلوب نشر في التايمز أكد فيه صدق روايته قائلاً أنه قد كتب نص العبارات التي تحدث بها دافيد هاوشن على ظهر علبة سجائره في نفس اللحظة التي تحدث بها وظل محتفظًا بعلبة السجائر في خزانته بالبنك الذي يتعامل معه . ولم يعلق دافيد هاكوهن على ذلك .

تحدث البروفسير إسرائيل شاهاك عن العنصرية اليهودية التي تسبب القهر والظلم للمواطنين الفلسطينيين داخل إسرائيل في كل جوانب حياتهم . وأما وضع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة فإنه أكثر سوءًا .

في بداية ١٩٨٠ نشر دور همشيش عضو منظمة الشباب الصهيونية العالمية

بمقرها الرئيسي في القدس ـ نشر مقالا في صحيفتها لـ رابي إسحق جي برنستين الذي هو عضو مجلس الأحبار الأمريكية ومحاضر عن اليهود في كلية سشيرن ـ في المقال يقول : طبقًا للمبادئ التوارتية ـ أن الأراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ تعد ملكًا لإسرائيل بشكل نهائي . وأن يكون هناك عرب يسمح لهم بالحياة في مساكنهم وأراضيهم فهذا لا يتناقض مع احتمال أن يأتي يوم تنزع فيه الملكية منهم .

أضاف : ليس هناك شيء اسمه « الأراضي المحتلة » أو الأراضي المستولي عليها لأن الحرب التي تم خوضها بتعليمات من حكومة إسرائيل فإن كل الأراضي التي تم غزوها واحتلالها نتيجة لهذه الحرب تعد ملكًا لإسرائيل .

ويضيف رابي ، وهو يهودي أمريكي يعيش داخل الولايات المتحدة الأمريكية : حيث أن هذه الأرض ملك لإسرائيل فهل من المسموح لنا المبادلة بها وتسليمها ضمن اتفاقية سلام أم أن القانون اليهودي يمنعنا من التفريط في بوصة واحدة من أرضنا المقدسة مهما تكن النتائج ؟؟

ويجيب على هذا السؤال : لقد جاء في الوصايا العشر أنه كي تعيش في إسرائيل لا تقيم بها مستوطنات فحسب ولكن ألا تسمح ببقاء أي جزء من أرض إسرائيل في أيدي غير اليهود .

هناك نماذج عديدة للعنصرية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي وكذا في الأراضي التي احتلتها . لقد كان من عادة رؤساء وزراء إسرائيل أن يبعثوا برسالة في مناسبة تأسيس الدولة إلى تلاميذ المدارس . هذه العبارة تبدأ بعبارة : عزيزى الطفل الإسرائيلي لكن مناجم بيجن أدخل تعديلاً . فكان يكتب عزيزي الطفل اليهودي .

في مقال بجريدة هاآرتس ـ الإسرائيلية ـ امتدحت هادا بوشيه المعلقة با؟لإذاعة والتليفزيون الإسرائيلي ـ امتدحت السيدة أورا اشيم توف التي ظهرت على شاشة

التليفزيون وطالبت بطرد جميع العرب من إسرائيل ومن الأرض المحتلة .

هادا يوشيه عبرت عن أسفها لأن السيدة شيم شوف لم تجد الوسيلة الملائمة لطرد جميع العرب .

وفي إذاعة إسرائيل دعا دافيد شيغمان نائب عمدة تل أبيب ـ دعا إلى طرد جميع العرب وان يحل محلهم عمال أتراك ويونانيون . قال أن الأتراك واليونانيين ليسوا لهم نفس البشرة السمراء التي للعرب ، وكما هو المعروف فإن العمال الذين يتمتعون بالبشرة غير السمراء يعملون أفضل .

ولم يقم واحد من زملائه الواحد والثلاثين أعضاء بلدته تل أبيب بالتفوه بكلمة واحدة لإدانة هذه التصريحات .

يستطيع المرء أن يخمن ما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن أحد رؤساء البلديات العرب هو الذي أدلى بمثل هذه التصريحات ضد اليهود .؟؟ !

وما يزال من الأمور المعتادة أن تظهر إحدى الشخصيات الإسرائيلية في الإذاعة أو التليفزيون وتدلى بمثل هذه التصريحات العدائية ضد العرب .

في ٢٨ أغسطس ١٩٨٠ نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت تصريحًا للسيد / أقي ناتان نائب اتحاد ملاك الفنادق افسرائيلية قال فيه : أن العرب بالأرض المحتلة قاموا بعملية غزو لجميع المهن في القطاعات التي لا تتطلب عمالا مهرة مثل التنظيف وغسيل الأطباق ... إلخ .. والعمل في مجال الفنادق لا يتوقف لا في أيام العطلات ولا الإجازات الرسمية ولذا فهناك ورديات متصلة . وهذه المهن تلائم العرب ولا تلائم اليهود الذين يفضلون العمل ساعات محدودة وأن يجلسوا في المكاتب فهم يريدون أوقاتًا كي يستمتعوا بها .

لا يوجد في إسرائيل دستور ولا يبدو أنها تتجه إلى أن يصبح لها دستور لا توجه أيضًا قوانين ضد العنصرية الذي تمارس من جميع الأحزاب الصهيونية المنتمية لليمين واليسار .

حركة الكيبوتز التي هي أصلا عنصرية لأنها تحدد العضوية بها فتجعلها مقصورة على اليهود تساند وتدعم التوجهات العنصرية للدولة .

الطبيعة العنصرية للدولة تبدو واضحة عندما يتبين لنا أنهم كي يحرموا العائلات العربية الفقيرة من أي معونات مالية تمنح للأسر ولأطفالها فقد وضع نظام يقضي بأن هذه المعونات تمنح لأبناء الجنود القدامى . هذه العبارة وضعت لتوجيهها إلى الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية بحيث يبدو كأن هذه المنح والمعونات المالية تقدم للأبناء والأطفال المنتمين للجنود القدامى .

والواقع أن المهاجرين الجدد من الولايات المتحدة الأمريكية ومن الاتحاد السوفيتي[1] ـ يتلقون مزايا مادية أكثر مما يتمتع به الجنود السابقون .

ولأن العرب لا يؤدون الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي فقد وجد الإسرائيليون أن هذه الطريقة الوحيد التي يتأكد لهم بها أنه لا يستفيد العرب من هذه المعونات المالية (وهذا يتضمن ـ العرب المقيمين في إسرائيل) بقول القانون الإسرائيلي أن هذه المنح والمزايا المادية تعطي للأطفال الذين أباؤهم وأعمامهم وخالاتهم وأخوالهم وأجداداهم وأبناء عمومتهم وكل من له صلة قرابة بواحد من هؤلاء قد خدموا في الجيش الإسرئليل أو في أي منظمة يهودية لنشر الفكر الصهيوني في العالم . ولم يكن من المطلوب تقديم أي دليل من الأسر اليهودية عن هذه

(١) ملاحظة للمترجم : المعروف أن أغلب نسبة من المهاجرين اليهود من امريكا ـ ومن روسيا (الاتحاد السوفيتي السابق) .

الخدمات التي قدمت في الماضي ولهذا السبب اعتبرت أي عائلة يهودية مهاجرة من الاتحاد السوفيتي تعتبر من عائلات الجنود القدامى . وبالتالي تتلقى هذه المساعدات المالية بينما يحرم منها الأطفال الفلسطينيون .

هناك دليل آخر على الموقف الإسرائيلي تجاه العرب من خلال مقال نشر في ٧ فبراير ١٩٧٩ بجريدة معاريف لدافيد هاكوهن ـ المشار إليه ـ سابقًا والذي وصف فيه العرب أنهم ليسوا حتى كائنات ؟آدمية « !!» قال هاكوهون في مقاله أن صديقًا دانماركيًا تحدث إليه مرارًا في أعوام سابقة مطالبًا أن تتوقف إسرائيل عن تدمير المنازل العربية في الأرض المحتلة لأن أصدقاءه . في الدانمارك الذين يناصرون إسرائيل يشاهدون مثل هذه الأعمال على شاشة التليفون يتذكرون فترة العقاب الجماعي التي تعرض لها شعب الدانمارك أثناء الاحتلال النازي لبلادهم . وقال هاكوهين أنه تحدث عن هذه ـ المسألة لأنه بعد فترة توقف عن الهدم (توقف الهدم عقب زيارة الرئيس السادات لإسرائيل) وبعدها بعام استؤنف ثانية حيث كان التدمير للمنازل التي استخدمها الإرهابيون [1] .

أغلب المنازل كانت تدمر قبل المحاكمة وحتى قبل ثبوت التهمة .

تقوم السلطات العسكرية بهدم المنازل الأكبر حجمًا والتي يقيم بها عائلات فلسطينية ويتم تحديديها بشكل اعتباطي .

اللافت للنظر أن هاكوهين لم يطلب وقف الهدم والدمار بسبب ما يترتب عليه من تعاسة وشقاء للفلسطينيين ولكن طالب التليفزيون حتى لا يشاهدها العالم . وتحدث بذلك ردود أفعال مثل تلك حدثت في الدانمارك .

يقول شاهاك : الآن سقطت . جميع الادعاءات التي تزعم بوجود شرعية للحكم

(١) هذا الوصف المقصود به المقاومة الفلسطينية .

في الأراضي المحتلة فالحكومة الإسرائيلية تطالب بصراحة ورسميًا أن يتم التعامل مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة طبقًا لقواعد وقوانين مختلفة عن تلك التي يتم التعامل بها مع اليهود . وهناك الآن مطلب عام بطرد جميع الفلسطينيين من كل فلسطين ويدعم ذلك المطلب الصحافة وكذا المؤسسة الدينية اليهودية .

ومع ذلك لابد من الاعتراف بأن الحركة الصهيونية قد مارست عملية طرد الفلسطينيين من أراضيهم في أعوام سابقة .

يقول شاحاك : حقيقة أن من الأخطاء الكبيرة للفلسطينيين أنهم ركزوا في كتاباتهم على أحداث مذبحة دير ياسين فقط . فقد كانت هناك المئات من دير ياسين .

ويصف ما ذكرته جريدة دافار (صحيفة حزب العمل الإسرائيلي) التي تحدثت عن «عقلية الجيتو» للصهاينة الذين تعاملوا مع ما أسموه المسألة العربية .

هذه الواقعة جرت في ١٤ أبريل ١٩٧٩ ففي خطاب إلى الجريدة تصف سلوك جنود الجيش الإسرائيلي المتسم بالعدوانية الجنسية (يدعي الإسرائيليون أن جنودهم لا يقومون باغتصاب النساء) . ولكن هذا غير حقيقي فقد كانت هناك حالات اغتصاب كثيرة . ويقوم الجنود بقتل الضحية بعد ذلك .

كان هناك أحد الجنود الذي يعد شاهد عيان لأحداث جرت سنة ١٩٤٨ في قرية عربية تسمى دويما في اليوم الذي تلي احتلالها ، فقد قام جنود اللواء التاسع والثمانين بقتل ما بين ثمانين إلى مائة شخص من أبناء القرية رجالاً ونساءً وأطفالاً .

قتلوا الأطفال بحشرهم في أماكن ضيقة وطعنهم بالخناجر . لم يكن هناك منزل واحد لا توجد به جثث . ولا شيء من الذين نجوا من القتل في الهجوم الأول تم تجميعهم ووضعوا في منازل بلا طعام ولا ماء ثم قام واضعوا الألغام بنسف المنازل .

طلب أحد القادة من أحد الجنود واضعي الألغام أن يدخل إلى المنزل – المزمع

تدميره – امرأتين عجوزتين . لكن الجندي رفض وقال أنه يتلقى الأوامر من رئيسه المباشر فأمر القائد واحدًا من جنوده بوضع العجوزتين في المنزل . وهكذا تم نسف المنزل وبه المرأتان .

قال جندي آخر أنه اغتصب امرأة ثم أطلق النار عليها .

جعلوا امرأة أخرى كان معها طفلها تقوم بأعمال النظافة لعدة أيام بأحد الأبنية ثم قتلوها ومعها طفلها .

لم يكن ذلك يحدث أثناء لهيب معركة محتدمة بين الطرفين ولكن كان يحدث في إطار سياسة الطرد والقهر والأعمال الفظيعة التي تمارس ضد العرب الفلسطينيين . كان شعارهم : أن يبقى عرب أقل .. فهذا هو الأفضل .

وحدثت وقائع قتل فظيعة مماثلة في قرية كيبا الفلسطينية في أكتوبر ١٩٥٣ حين نفذ الجنود والإسرائيليون مجزرة لستين شخصًا من الرجال والأطفال والنساء .

ويقدم أحد مندوبي الأمم المتحدة شهادات عن الحادث حين وصف الأجساد والجثث الملقاة والمليئة بطلقات الرصاص التي اخترقت هذه الأجساد . كانت ملقاة داخل ممرات المساكن وأمام الأبواب بما يعني أن سكان هذه المساكن أجبروا على البقاء داخلها حين تم نسفها وكان الجنود الإسرائيليون يتجولون في شوارع القرية ويطلقون الرصاص ويلقون بالقنابل اليدوية داخلها .

لم يتم محاسبة الوحدة ١٠١ ولم تتعرض لأي عقاب وهي الوحدة التي قامت بهذه المجزرة وينظر إلى آخر أشهر أعضائها وهو مائير هاريزون على أنه بطل . هذا القاتل الذي يصف بفخر كيف مارس واستمتع بقتل الفلسطينيين العزل من السلاح .

في إحدى المرات عبر الحدود مع الأردن ومعه عدد من رفاقه قاموا بالقبض على

ستة من العرب قتلوا خمسة منهم بالذبح بالسكين وتركوا واحدًا وأطلقوا سراحه ليحكي ما جرى .

ما يزال العجز عن معاقبة اليهود ومحاسبتهم على أفعالهم الإجرامية مستمرًا حتى الوقت الحاضر . والموقف الإسرائيلي تتضح صورته من خلال واقعة قرية كفر قاسم الفلسطينية والتي جرت بها مذبحة دامية .

إذ دخلها الجنود الإسرائيليون بعد فرض حظر التجوال عليها في أحد أيام أكتوبر ١٩٥٦ بينما كان السكان يعملون في الحقول ولم يعلموا شيئًا عما يجري بالقرية وعندما عادوا قتلوا بدم بارد ومات في المذبحة ٤٧ من الرجال والنساء والأطفال .

مؤخرًا أعلنت صحيفة هآرتس أن أحد عشر ضابطًا وجنديًا قدموا للمحاكمة بسبب هذه المجزرة التي جرت في كفر قاسم وتلقوا بزيادة بنسبة ٥٠٪ في رواتبهم «!!» أرسل مندوب خاص لإحضار الشيكات للمتهمين في عيد الفصح اليهودي . وأعطي بعضهم إجازات في هذه المناسبة .

خلال المحاكمة كان المتهمون يختلطون بالجمهور الذي يشاهد المحاكمة وبعض الضباط كانوا يبتسمون ويربتون على ظهورهم أو يصافحونهم . وكان واضحًا أن هؤلاء الناس سواء حكم بإدانتهم أو تبرئتهم لم يحاكموا كمجرمين ولكن كأبطال .

الضباط المسئولون عن الجريمة (ميلنكي وداهات) كان من المفترض سجنهما خمسة عشر عامًا على أقل تقدير ولكن خلال عام واحد أفرج عنهما وعن كل المتهمين . (بينما تذكر كفر قاسم في الصحافة الغربية وعند دعاة الصهيونية حين يكتب عنها مشيرة إلى الأحكام الأصلية الصادرة بحق المسجونين وتعتبر أن ذلك نوعًا من العدالة – بل نموذجًا للعدالة الإسرائيلية ولكن أبدًا لا يقولون أنهم أُفرج عنهم بعد عام) . وكل الرسائل من القرّاء التي تشير إلى هذه الواقعة أبدًا لا يتم

نشرها .

البريجادير شادمي – وهو القائد الإسرائيلي الذي أصدر الأمر للجنود بالقتل والتدمير وإيقاع المذبحة بالفلسطينيين في إجابة له عن السؤال ماذا نفعل مع المواطنين الفلسطينيين الذين يصلون إلى القرية ويجهلون أنها تحت أمر حظر التجوال ؟؟ قال لهم : لا أريد مشاعر إنسانية . (وجد هذا القائد أثناء محاكمة عسكرية خاصة وتغريمه قرشًا واحدًا بعد تسعة أشهر أمضاها في السجن) .

الملازم جافريل داهان الذي أدين في تهمة قتل أربعة وثلاثين عربيًا في ساعة واحدة تم تعيينه ضابطًا مسئولاً عن شئون العرب في مدينة رام الله .

للفلسطينيين مقولة يذكرونها في أدبياتهم وهي : أنهم ليس لديهم مشاعر كراهية ضد اليهود كيهود ولكن تجاه اليهود الصهاينة الذين سرقوا وطنهم . وعلى الجانب الآخر تبدي غالبية اليهود مشاعر الكراهية والاحتقار لكل العرب .

ويسمح للصهاينة – أن يظهروا هذه المشاعر ويتعامل معهم الجميع بنوع من الصفح حتى أنهم يتسامحون معهم في رفضهم الكامل إدانة العنصرية مع العرب .

هناك أمثلة عديدة لهذه المواقف العنصرية وبعض مما جرى هو الذي جعل المواقف التي أبداها بسام الشكعة تتسم بالبطولة .

عام ١٩٧٤ أصدر مجلس الحاخامات بالجيش الإسرائيلي نشرة تدعو لقتل المدنيين أثناء الحرب لأن العرب لا يوثق بهم . وفي ٢ يناير ١٩٧٩ نشرت جريدة هاآرتس مقالاً لكبير الحاخامات اليهود بالولايات المتحدة الأمريكية مورد خاي سافتسكي ، وهو يعد من كبار المرجعيات في قوانين الديانة اليهودية بالولايات المتحدة . قال في هذا المقال :

ممنوع إعادة الأراضي المحررة إلى غير اليهود وطبقًا للديانة اليهودية لا يمكن الثقة بغير اليهودي .

كتب في ملحق جريدة معاريف بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٧٩ : ينبغي أن تخلق المواقف التي تجعل العرب لا يعيشون بيننا . بل يعيشون في المملكة العربية السعودية أو الأردن . وقد نشرت الصحافة الإسرائيلية على نطاق واسع تصريحًا لقائد المنطقة الشمالية الجنرال أفيجدور بن جال وصف فيه العرب بأنهم مثل السرطان .

لاشك أنه لو أطلق هذا الوصف على اليهود لشعروا في كل أنحاء العالم أنهم انتهكت حرماتهم ولكن اليهود داخل إسرائيل ظلوا في حالة صمت إزاء هذا الوصف الذي أطلق على العرب . وكان الجنرال الإسرائيلي يتحدث عن عرب إسرائيل الذين هم مواطنون إسرائيليون .

في ٢٠ فبراير ١٩٧٨ ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن شموئيل توليرانو وهو يهودي عربي عضو في الكنيست تلقى خطابًا من مسئول بوزارة الصحة جاء فيه :

أتمنى أن يأتي اليوم الذي تذبح فيه إخوتك العرب . سوف نبدأ أولاً بوغد مثلك . أفهم معاداتك للصهيونية فأنت في الأصل عربي .

ولم يتفوه أحد بكلمة إدانة من أي من المنظمات الإسرائيلية باستثناء المنظمة الإسرائيلية للحقوق المدنية عندما قام المستر توليداندٌ بنشر هذا الخطاب .

◆◆◆